دور المصطلح العلمي في الترجمة والتعريب

شحادة الخوري(*)

المقدمة :

أرى لزاماً عليَّ ، قبل أن أسير في شعاب هذا البحث ، أن أحدِّد مضمونه، وأرسم نطاقه : فما هو المقصودُ بالمصطلح العلمي ؟ وماذا تعني الترجمة ؟ وماذا يعني التعريب؟ وما الصلةُ بين هذه الأمورِ الثلاثة ؟ وما هو أثرُها في تنمية اللغة العربية وتحقيق النهضة العربية الحقيقية في الوطن العربي ؟.

معنى المصطلح :

إن الاصطلاح في اللغة هو التصالح ، وتصالحَ القوم قام الصلح بينهم . وقد جاء في مستدرك التاج " الاصطلاح هو اتفاقُ طائفةٍ على أمر مخصوص ، وورد في المعجم الوسيط : " المصطلحُ هو اتفاقُ طائفة على شيءٍ مخصوص ولكلِ علم اصطلاحاته ".

ويقصد بالاتفاق اتفاقُ العلماء والمشتغلين بعلم من العلوم على إعطاء كلمةٍ ما دلالةً جديدة فتصبحُ دالةً على مدلولٍ جديد ، وتدعى مصطلحاً أي لفظة تحمل معنًى جديداً متفقاً عليه قد يغاير المعنى المعجمي لهذه اللفظة أي يغاير دلالاتها اللغوية التي كان لها في الأصل .

ولكن كيفَ نختارُ اللفظةَ الملائمةَ للمفهومِ الجديد ؟ إن الأمر لا يجري اعتباطاً أو مصادفة ، بل لابدَّ من علاقة مشابهة أو مشاركة بين

المعنى الذي وُضعت الكلمةُ للدلالة عليه في الأصل ، وبين المعنى الاصطلاحي الذي يراد تحميلُه لهذه الكلمة : السيَّارةُ كانت تدلُّ على القافلة أو القوم السائرين ثم أطلقت على الآلة الحديثة المعروفة ، والمشابهة أو المشاركة هي السير ، والطيارُ أو الطيارة كانت صفةً للفرس الشديد الجري ، ثم أطلقت على المركبة التي تسيرُ في الفضاء مسرعةً ، والمشابهة أو المشاركة هي سرعة الجري .

والشرطُ الأساسيُّ في المصطلح أن يكونَ للمفهوم الواحد سواءٌ أكان اسم معنى أو اسم ذات لفظة اصطلاحية واحدة يتفق عليها أهل الاختصاص . وأما إذا كان للمفهوم الواحد عدةُ ألفاظ أو دلَّ اللفظ الواحد على عدة مفاهيم فإن التواصل الفكريَّ بين الناس يضطرب ، ويختلط الحابل بالنابل !

وأما وصف المصطلح بالعلمي هنا ، فيقصد به أن الحديث يدور حول المصطلحات التي يتفقُ عليها العلماء للدلالة على المعاني العلمية المتصلة بالعلوم على اختلاف أنواعها : العلوم الأساسية والعلوم التطبيقية والعلوم الاجتماعية والإنسانية .

إن العلوم جميعها ، في القرن الأخير الذي نستشرف نهايته تتسعُ وتتعمَّقُ وتتفرع ، حتى دعي هذا العصر " عصر التفجر العلمي " أو " عصر الثورة العلمية والتقانيَّة (التكنولوجية) ".

وليس من يوم يمر إلا ونشهدُ فيه كشفاً مذهلاً أو ابتكاراً مدهشاً، وصارت المعرفة العلمية ، في حيز الفكر وحيز التطبيق تتسارع دون هوادة .

ونتيجة ذلك أخذت معاهدُ البحوث والدراسات ومختبراتُها في

الدول المتقدمة علمياً وصناعياً تقذف بسيلٍ لا ينقطع من المفاهيم والتسميات ، وكل مولودٍ جديدٍ يحمل اسماً يطلقه عليه من كشفَ عنه أو ابتكره ، يستمدُّه من لغته أو اللغة التي يستعملها في بحوثه واختباراته ، وما على الآخرين الناطقين باللغات الأخرى إلا أن يتدبروا أمرهم ، ويفتشوا عن مقابلات لهذه الأسماء في لغاتهم أو يقترضوها من اللغة التي أخذت منها أول تسمية أطلقت على ذلك المولود ، وللـه درُّ المتنبي حين قال :

أنامُ ملءَ جفوني عن شواردِها ويسهرُ الخَلْقُ جَرَّاها ويختصمُ

معنى الترجمة :

جاء في لسان العرب : " يترجم الكلام ينقله من لغة إلى لغة أخرى، والشخص يدعى التُّرْجُمان(**) وهو الذي يفسِّرُ الكلام " وجاء في المعجم الوسيط : " ترجم الكلام بَيَّنَه ووضَّحَه ، وترجم كلام غيره وعنه: نقله من لغة إلى لغة ، والتُّرْجُمان هو المترجم وجمعه تراجم وتراجمة ، وترجمة فلان : سيرة حياته جمعها تراجم .

وينبغي التفريق بين نوعين متميزين من الترجمة :

أ. الترجمة الشفوية : وهي التي تتم شفوياً أو شفهياً تلبية لاحتياجات التفاهم بين متكلمين بلغات مختلفة . وقد صارت هذه الترجمة في العصر الحالي صناعة أو اختصاصاً قائماً بذاته ، له معاهدُه وبرامجه وأصوله وأساليبه ، ويُحتاج إليها ، بخاصّة ، في المؤتمرات والندوات والاجتماعات واللقاءات التي يحضرها أشخاص متباينو اللغات .

ب. الترجمة الكتابية : وهي التي تتمّ بنقل مكتوب إلى مكتوب ، وتدخل في أعمال الإدارات والهيئات والمؤسسات الوطنية والإقليمية والدولية ، وتتفرع إلى فروع عديدة حسب موضوعاتها : الترجمة السياسية والترجمة الإعلامية والترجمة التجارية والمصرفية والترجمة السياحية، وترجمة الوثائق والشهادات والمستندات ..

بَيْدَ أن أهم فروعها هي الترجمة الثقافية التي تعنى بترجمة الآثار والمؤلفات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية من لغة إلى لغة .

وهذا اللون من الترجمة عظيم الأهمية ، وبليغ الأثر لأنه طريق المثاقفة بين الشعوب والأمم ،بل هو دِعامةٌ من دعائم التنمية الاقتصادية والاجتماعية . والسبيل إلى تحقيق التقدم العلمي والتقانيِّ (التكنولوجي). ويشترط في هذه الترجمة الأمانة والدقة والوضوح ، كما يشترط في ممارسِها أن يكون متقناً للغة العربية واللغة الأجنبية التي ينقل منها ؛ وأن يكون مختصاً بالمادة العلمية التي يتصدى لترجمتها ، بمعنى أن لا يترجم الطب إلا الطبيب ولا الهندسة إلا المهندس ، وأن يكون ذا دراية بمصطلحات علمه ومتحصلاً على ثقافة علمية واسعة .

معنى التعريب :

وأما التعريب فهو من الألفاظ المشتركة المتعددة المعاني وهو مصدر عَرّب بالتضعيف . وفي المعجمات عَرَّب فلانٌ منطقه من اللحن : خلَّصه، وعَرَّب الاسم الأعجمي تفوَّه به على منهاج العرب ، وقالوا : أعْرب الأعجميُّ وتعرَّب واستعرب إذا فُهم كلامُه بالعربية .

١. **تعريب اللفظ :** هو التفوُه باللفظة الأعجمية على منهاج العرب

في النطق والوزن . قديماً قيل : ترياق ، ناطور ، سوسن ، فردوس.. وحديثاً قيل : ترام وفلم وأكسيد ... وأجازت مجامع اللغة العربية التعريب ، إذا عجزت الطرائق الأخرى عن توليد المصطلح؛ فإن وافقت اللفظة الأصوات والأوزان العربية فهي معربة ؛ وإذا لم توافقْ عُدّت دخيلة مثل جغرافيا وأهليلج وغليسيرين وتلفزيون وكروموتوغرافيا (التفريق اللوني) ... وقيل المعرَّبُ والدخيلُ واحد.

يقول العلامة مصطفى الشهابي : " لا ضَيْرَ في التعريب كلما مَسَّت الحاجةُ إليه ، وجميعُ اللغات يقتبس بعضها من بعض ".

٢. **تعريب النص** : هو نقل النص من إحدى اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، وهذا بمعنى الترجمة ، ويقابل هذا الضرب من التعريب التعجيم وهو نقل النص من العربية إلى لغة أجنبية . وقيل إن تعريب النص يفيد معنى إعطائه صبغة عربية ، فيكون التعريب بهذا المعنى أجود من الترجمة وأشمل ، وقيل أيضاً : الترجمة هي نقل المعرفة من لغة إلى لغة ، فإذا كانت غايتها تنمية ثقافتنا العربية لتتحاور مع الثقافات الأخرى إسهاماً في المثاقفة الإنسانية والحضارة العالمية فهي تعريب .

٣. **تعريب المجال** : هو جعلُ اللغة العربية أداته التعبيرية مثل تعريب مجال التعليم أو القضاء أو الثقافة أو الإعلام أو الاقتصاد... إنه جعل اللغة العربية لغة الفكر والشعور والحراك الاجتماعي ، يعبر بها الإنسان العربي عن مكنونات نفسه وومضات فكره وخلجات فؤاده كما يعبر بها عن رغباته وحاجاته عامة .

إن هذا المعنى الأخير هو المعنى الذي نقصدُهُ في هذا البحث .

وحبَّذا لو استعملت كلمة الاقتراض للدلالة على المعنى الأولي ، وكلمة الترجمة للدلالة على المعنى الثاني ، واقتصرت لفظة التعريب على الدلالة على المعنى الثالث ، فذلك أنفى للاشتراك في المعنى وما يسبب من اضطراب .

الترابط والتلازم :

إن بين المصطلح والترجمة والتعريب ترابطاً وتلازماً ، فالمصطلح ركنٌ من أركان الترجمة والتعريب : هما الدافع لإيجاده و لا يتحققان إلا به . إن النص العلمي ، كنصٍّ في الطب أو الرياضيات أو الكيمياء يتألف من ألفاظٍ عامة يمكن أن ترد في أي نص علمي آخر أو في نص غير علمي ، ومن ألفاظٍ تختص بموضوع الطب أو الرياضيات أو الكيمياء دون سواه ، وهي ألفاظٌ خاصةٌ وفنيةٌ ندعوها المصطلحات العلمية ، هي عماد النص العلمي وجواز سفر للعلم إلى عقول أصحابه وعقول طالبيه .

وإيضاحاً لهذا الترابط والتلازم ، بوجهيهما الإيجابي والسلبي ، نذكر أنه إذا لم يكن ثمة تعريب في التعليم الجامعي للمواد العلمية ، أي إذا كانت هذه المواد تدرس بإحدى اللغات الأجنبية ، فلا حاجة عندئذ للمصطلح العلمي العربي ، إذ يكون التدريس والكتب التدريسية والمرجعية بلغة أجنبية ، ولاحاجة كذلك لترجمة الكتب والمؤلفات العلمية إلى اللغة العربية ، وأما إذا كان التعليم الجامعي العلمي معربا أي يُقدَّم للطلبة باللغة العربية ، فتكون الحاجة ماسة إلى أهم أدوات التعليم العلمي وهي المصطلحات العلمية مما يحثُّ على وضعها وتوحيدها

وإشاعتها واستخدامها ، وتكون الحاجة ملحة إلى ترجمة الكتب والمؤلفات العلمية إلى العربية ، وينشط في هذا الميدان رجالُ العلم ومدرسو العلوم كلّ في ميدان اختصاصه فينصرفون إلى أعمال التأليف والترجمة والتدريس بالعربية .

المصطلح أداة ضرورية للتعريب ، والترجمة حاجة مهمة من حاجاته ، والتعريب يتحقق وينهض بهما فيمهدان الطريق للتأليف العلمي بالعربية والبحث المتصف بالابتكار والإبداع .

وبهذا الثلاثي المترابط والمتلازم تنمو اللغة العربية ، وتتجذر المعرفة العلمية ويتخلص العرب من التبعية اللغوية والثقافية ، ويتحقق شرط أساسي من شروط النهضة الحقيقية في الوطن العربي .. إنّه ثلاثي تتكامل أطرافه ، ولا يتحقق أحدها بدون تحقق الطرفين الآخرين ، بل يتحقق بهما ومعهما : فالتدريس العلمي بالعربية والتأليف بها والترجمة إليها ووضع المصطلح عمل متكامل ومتزامن في سياق النهضة العلمية والثقافية واليقظة القومية والمشاركة الإنسانية .

وأتناول بإيجاز ثلاثة موضوعات تتعلق بالمصطلح العلمي هي : طرائق وضعه وحجم العمل فيه وإشكالياته .

أولاً طرائق وضع المصطلح :

يذكر العلامة مصطفى الشهابي : " أن العربية قد نمت بالاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب ، وهي الوسائل التي رجع إليها العلماء والنقلة عندما وضعوا آلاف المصطلحات في صدر الإسلام ، سواء في العلوم الفقهية أو اللغوية أو في علوم فارس واليونان والهند وغيرهم

من الأمم ثم يضيف : " وهذه الوسائل هي التي نتخذها في زمننا هذا لنقل العلوم الحديثة إلى لغتنا الضادية ".

ونعرض بإيجاز لكل من هذه الوسائل أو الطرائق :

١ - **الاشتقاق** : هو انتزاع كلمة من أخرى على أن يكون ثمة تناسب في اللفظ والمعنى مع توافق في ترتيب الحروف ، وهذا هو الاشتقاق الصغير : معرفة ، عارف ، معروف .. أو تناسب في اللفظ والمعنى دون توافق في ترتيب الحروف مثل : جذب وجبذ ، وهو الاشتقاق الكبير أو القلب ، أو تناسب في المعنى واختلاف في اللفظ مثل : عنوان وعلوان ونبس ونبت وهو الاشتقاق الأكبر أو الإبدال.

من المصدر ، اسم المعنى وأصل المشتقات يؤخذ الفعل المجرد ثم الأفعال المزيدة . ومن الأفعال المجردة والمزيدة تصاغ المشتقات الثمانية .

ولكن الاشتقاق لم يقتصر على أسماء المعاني أو المصادر ، بل اشتق القدماء من أسماء الأعيان العربية ، مثل : ذَهَّبَ من ذَهَبَ وأبحر من بحر ، ومن أسماء الأعيان المعربة مثل : هَنْدَس من الهندسة ودَرْهَم من الدرهم وفَهْرَس من الفهرسة .

وفي العصر الحديث جرى الاشتقاق كذلك من أسماء الأعيان العربية مثل غِراسة من الغَرْس ونِحَالة من النَّحْل ، وأسماء الأعيان المعربة مثل كَهْرَب من الكهرباء ومَغْنَط من المغنطيس وأَكْسَدَ من الأكسيد ... بالإضافة إلى الاشتقاق من أسماء المعاني أي المصادر مثل : مستشفى من الاستشفاء ، والجامعة من الجمع ، والمِبْذَر من البذر .

إن الاشتقاق هو الطريق الرئيسية لتوليد الألفاظ الجديدة وأهم وسائل تنمية اللغة العربية لتفي بمتطلبات تطور العلوم والمعارف العلمية.

٢ - **المجاز** : هو في البيان لفظ ينقل المتكلم معناه الأصلي الموضوع له إلى معنى آخر بينه وبين المعنى الأصلي علاقة كقولنا : البحر للرجل الكريم، وفي مجال المصطلح هو نقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى علمي .

وإن الألفاظ التي استخدمت مجازاً في عصر النقل والترجمة زمن العباسيين ، بل بداية من العصر الأموي ، لا تُعَدُّ ولا تحصى سواء في ميدان العلوم الفقهية وعلوم اللغة أم العلوم الأساسية والتطبيقية ، كالرياضيات والهندسة والطب والفلاحة مثل : الصلاة والزكاة ، والنحو والصرف ، والأزل ، والأبد ، والجِذْر والأُس ...

قال العلامة مصطفى الشهابي : " ولابد لنا من الرجوع إلى المجاز في وضع عدد كبير من مصطلحات العلوم والمخترعات الحديثة . وكلنا نعرف بعض ألفاظ مجازية وضعت حديثاً كالقطار والقاطرة والسيارة والمدرعة والغواصة والباخرة ".

٣ - **النحت** : هو انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر على أن يكون ثمة تناسب في اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه ، وعدَّه بعضهم ضرباً من الاشتقاق .

استعمل قديماً في حدود ضيقة فقيل : سَبْحَلَ من سبحانَ الله وحَوْقَلَ من لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله وحَمْدَلَ من الحمد لله وعَبْشَمِيٌّ نسبة إلى عبد شمس ... وعدَّه الأقدمون سماعياً ، ولكنَّ مجمع اللغة العربية

بالقاهرة أجازه عندما تُلْجِىءُ الضرورة العلمية إليه ، وأضيف : ويستسيغه الذوق السليم .

وفي العصر الحديث استعمل النحت فقيل : برمائي وآفروآسيوي بدل بري مائي وافريقي آسيوي ويشبهه التركيب المزجي مثل : رأسمال. ويصحّ النحت إذا كان المصطلح الأجنبي مركباً من كلمتين مثل : كهرطيسي وكهرزاري عوض كهربائي مغناطيسي وكهربائي حراري .

وقد غالى بعضهم في النحت مثل قطْشَرَة بدل قطع الشرايين وفَسْكَر بدل فحم السكر فأتوا بكلمة أعسر من الكلمتين اللتين أرادوا دمجهما ، فكانوا كالهارب من الدُّب فوقع في الجبّ .

٤ - **التعريب** : سبق أن ألمحنا إليه ودعوناه اقتراضاً ، والاقتراض ليس وقفاً على اللغة العربية ، بل هذا شأن اللغات جميعها ، وما أكثر اللغات التي اقترضت من اللغة العربية ألفاظاً تعد بالمئات وأحياناً بالألوف .

هذه هي الطرائق التي نمت بها لغتنا العربية ، والتي يمكن أن تنمو بها مستقبلاً ، وفاء بمتطلبات التطور العلمي والثقافي الذي نسعى لتحقيقه للحاق بركبه السائر دون توقف في العالم المتقدم علمياً وتقانياً .

ثانياً - حجم العمل المصطلحي :

ويحسنُ بنا أن نلقي نظرة على حجم العمل الذي تم في ميدان وضع المصطلحات العلمية قديماً وحديثاً . في القديم ، عصر النهضة العربية الأولى ، اقترن وضع المصطلح العلمي بعمل الترجمة العلمية .

فقد بدأت هذه الترجمة في عهد بني أمية ، ولكن لم يتسع أفقها إلاّ في عصر العباسيين ، حين جعلت منشطاً من مناشط الدولة يحظى بدعمها المعنوي والمادي .

أنشأ الخليفة المنصور ديواناً للترجمة فوسَّعه الرشيد . وعندما تولى الخليفة المأمون الحكم أحدث " بيت الحكمة " الذي كان بمثابة " مجمعٍ علمي ومرصدٍ فلكي ومكتبةٍ عامة أقام فيها طائفة من المترجمين وأجرى عليهم الأرزاقَ من بيت المال " واقتدى بالمأمون كثيرون من أهل الدولة ورجالها الأغنياء .

تُرجمت المعارف عن الهندية والفارسية ، ولكن الكتب اليونانية كانت نبعاً اغترفوا منه وقد بلغ عدد ما ترجمه العرب من كتب الإغريق نحو أربعمئة كتاب منها (١١٤) في الفلسفة و(١٢٣) في الرياضيات و(١٤٩) في الطب ...

وقد استدعت ترجمة علوم الأقدمين إلى العربية إيجاد مصطلحات علمية كثيرة للدلالة على المعاني والأعيان في الفلسفة والهندسة والرياضيات والفلك والطب وسواها .

يقول العلامة مصطفى الشهابي : " إن المصطلحات العلمية التي أدمجت في لساننا في تلك الأيام هي آلاف مؤلفة من الألفاظ المعربة ". ويضيف : " لقد جعلت من العربية آنذاك لغة علمية بل هي ماتزال صالحة للتعبير عن بعض موضوعات العلوم الحديثة ".

لم يكن في ذلك العهد مجامع لغوية أو لجان جامعية أو مكاتب للتعريب أو دوائر معاجم ، ولذا كان يَسُدُ مَسدَّ هذا كله جهود الأفراد النابهين أمثال حنين بن اسحق الذي يرجح أن يكون هو واضع

المصطلحات التالية في طب العين : الشبكية والعينية والرطوبة والزجاجية والبيضية والقرنية والملتحمة .. لم يكن بين الترجمة والمصطلح ، وهما الوسيلتان والدِّعامتان لتعريب العلوم ، حدٌّ فاصلٌ أو مسافةٌ عازلة ، بل كان بينهما ترابطٌ وتلاحم وتكاملٌ : الترجمة تقتضي اللفظة العربية الدقيقة وما كان على المترجمين آنذاك إلاّ أن يعملوا العقل فأعملوه وجعلوا اللغة العربية لغة علم في زمانهم وبعد زمانهم ، لفترة مديدة .

وفي العصر الحديث ، رافق النهضة الثقافية في القرنين التاسع عشر والعشرين سعيٌ حثيثٌ لإيجاد المصطلحات العلمية التي تطلبها تدريس العلوم المعاصرة باللغة العربية في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية في أكثر البلدان العربية وفي بعض مؤسسات التعليم العالي بمصر من عام ١٨٢٦ وحتى عام ١٨٨٧ وبيروت من عام ١٨٦٨ حتى ١٨٨٦ ودمشق بداية من عام ١٩١٩ حتى اليوم ، ثم نشوء صحافة تنشر المقالات العلمية وظهور الحاجة لترجمة مؤلفات علمية من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ؛ والحاجة إلى تأليف كتب علمية بهذه اللغة خدمة للتدريس العلمي من جهة ؛ وتأمينا لقدرٍ من الثقافة العلمية لجمهور القراء .

وتدل دراسة إحصائية للأعمال المعجمية التي تمت خلال مائة عام ١٨٨٣ - ١٩٨٣ على اختلاف أنواعها : معاجم - قوائم - مسارد، أنه قد بلغ عددها (٥٣١) عملاً منها (٥٣) عملاً في مجال الطب و(١٦) في الفيزياء و(١٥) في الكيمياء و(١٩) في الجيولوجيا و(٣٨) في القانون و(١٥) في علم النفس .. إلخ .

وقد أسهمت في هذا العمل جهاتٌ عديدة : الهيئات والمؤسسات

القطرية : مجامع اللغة العربية ، والجامعات والمجالس العلمية والمنظمات العربية المتخصصة والاتحادات المهنية العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ممثلة بمكتب تنسيق التعريب بالرباط .

والقسط الأكبر في هذا العمل أداهُ أفراد نابهون لم يوفروا جهداً أو وقتاً ولم يَخْشَوا سهراً أو عناءً في خدمة لغتهم وإغنائها بالمصطلحات الجديدة .

ثالثاً - إشكالات المصطلح العلمي :

على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلتْ في وضع المصطلح العلمي وإعداد الأعمال المعجمية ، فإن هذه الحصيلة الوافرة من المصطلحات تشوبها نقائص كثيرة إذ شكّلتْ لوحة فنية بمعانيها ولكنها متداخلة الخطوط والألوان .

ويعود سبب ذلك إلى أن هذا العمل قد انطلق من مواقع متباينة في مقاصدها ومراميها ، ثمرة جهود فردية ، جامعية ، مجمعية ، وشاركت في بعضها مؤسسات قطرية وقومية وأجنبية ، وكانت الدوافع إليها حاجات علمية وتعليمية تارة ونزعات تجارية ربحية أو هوايات شخصية تارة أخرى .

وجرت هذه الجهود بأساليب مختلفة : فثمة من بالغ بالتمسك بمعطيات تراثنا العربي اللغوي فتشدَّدَ إزاء المعرَّب والدخيل والعامي ، ومنهم من تساهل في ذلك تساهلاً مخلاً ، في غياب منهجية دقيقة لاختيار المصطلح . هذا وجاءت الأعمال على غير نسق موحد ، فحظيت بعض حقول المعرفة بنصيب وافر كالطب والاقتصاد والقانون على خلاف الرياضيات والزراعة والمحاسبة ....

وثمة إشكاليتان تجدر الإشارة إليهما :

أولاهما – التخلف الزمني في وضع المقابل العربي ؛ إذ غالباً ما يُفَكَّر فيه بعض انقضاء زمن على تداول الناس المصطلح الأجنبي بلفظه أو ابتداع مقابلات عربية له مرتجلة لم يُحْسَن اختيارها . يقول الأخضر غزال مدير معهد الأبحاث والدراسات للتعريب في المغرب : " نضع المصطلحات في جميع الميادين بسرعة معدلها (٢٥٠٠) مصطلح في السنة بينما تضع فرنسا (٥٤٧٥) مصطلحا، ويُبدع كل سنة ما يربو على (٧٣٠٠) مصطلح جديد في جميع العلوم أي بمعدل (٢٠) مصطلحاً كل يوم .

والحق أنه لم يكن ثمة خطة لوضع المصطلح ، ولم يكن ثمة مؤسسة أو جهاز مكلف بتتبع المصطلحات التي تنزل ساحة العلم والمعرفة والعمل على وضع مقابلات عربية لها ، في وقت محدد أو ضمن جدول زمني ، ولذا جاءت هذه المقابلات متفاوتة في قربها أو بعدها عن زمن ذيوع المصطلح الأجنبي . إذن من تولى وضع المصطلح ومازال يتولى ذلك ؟

تولى ذلك أفرادٌ أفذاذ من رجال العلم والثقافة والصِّحافة ، ممن كانت لهم دراية باللغات الأجنبية ولديهم معرفة معمقة باللغة العربية الأم، فاجتهدوا ما وسعهم الاجتهاد ، فنجحوا في وضع مصطلحات شاعت وبقيت متداولة حتى اليوم ، ووضعوا مصطلحات لم يكتب لهم البقاء لحلول أخرى محلَّها .

فمما وضعه أحمد فارس الشدياق : المؤتمر والحافلة والمنطاد والمطعم ، وما وضعه خليل اليازجي : الجواز والرُّدهة ، والقفاز ، وممّا

وضعه يعقوب صروف : المصح والتلفزة ، والصُلب (الفولاذ) والنشوء والارتقاء .

ومما وضعه ابراهيم اليازجي : المجلة والبيئة ، والدراجة ، والحاكي واللولب ، والشعار ، والمقصف ، والحوذي ....

ومازال وضعُ المصطلح حتى اليوم غير خاضع لخطة متفق عليها ولا موكل لمؤسسة أو جهاز ، بل يقوم به من كان قادراً على ذلك من رجال العلم والثقافة والصحافة ، بل من مترجمي المؤتمرات العلمية العرب الذين يجدون أنفسهم في مواجهة المصطلحات الأجنبية فيجتهدون، يصيبون حيناً ويخطئون الهدف حيناً آخر .

ثانيتهما – تعدد المقابل العربي تجاه المصطلح الأجنبي لتعدد واضعيه أو تعدد اللغات الأجنبية المنقول عنها . فقد وضع مقابل المصطلح الفرنسي Frein مكبح وكابحة وماسك ولجام وفرملة وفران ، ومقابل لفظة جهاز Computer بالإنكليزية ؛ وضع حاسب وحاسب آلي وحسابة وحاسوب وعقل الكتروني ومقابل تسميته بالفرنسية Ordinateur نظامة ورتابة .

لقد تنبه أهل الرأي إلى هذه الإشكالية من منتصف هذا القرن لأن من شأنها إذا ما استشرت وتفاقمت أن تجعل اللغة العربية لغات ولاسيما في مجال العلوم التي تعتمد على المصطلح اعتماداً كبيراً ، فقد نصت المعاهدة الثقافية ، وهي أول معاهدة أبرمت عام ١٩٤٥ بين دول الجامعة العربية ، في المادة الحادية عشرة منها على توحيد المصطلحات، ثم جاء ميثاق الوحدة الثقافية الذي وافق عليه مجلس الجامعة عام ١٩٦٤ ناصاً في المادة السابقة عشرة منه على السعي

لتوحيد المصطلحات العلمية والحضارية ومساعدة حركات التعريب بما يحقق إغناء اللغة العربية مع المحافظة على مقوماتها .

أما جهاز تنسيق المصطلح وتوحيده الذي أنشيء عام ١٩٦١ بناء على توصية مؤتمر التعريب الأول الذي انعقد بالرباط فقد عمل حتى عام ١٩٦٩ بصفة هيئة مستقلة إدارياً ومالياً ، ثم احتضنته جامعة الدول العربية حتى قيام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، فتحوّل جهازاً من أجهزتها الثقافية عام ١٩٧٢ .

ومهمة هذا المركز جَمْعُ المصطلحات المستخدمة في البلدان العربية ، في مجال من مجالات المعرفة والعلم وتنسيقها وتكليف خبراء بوضع مصطلحات كل علم في معجم متخصص ، ثم عرض ذلك على الهيئات اللغوية والعلمية في البلدان العربية ، وتقديمها بعد ذلك إلى مؤتمر التعريب الذي ينعقد دورياً كل ثلاث سنوات لدراستها والتصديق عليها .

لقد أقر مؤتمر التعريب الثاني (الجزائر ١٩٧٣) (٦) معجمات للتعليم العام والثالث (طرابلس ١٩٧٧) (٨) معاجم للتعليم العام أيضاً والرابع (طنجة ١٩٨١) (١٠) معاجم للتعليم التقني والمهني والعالي ، والخامس (عمان ١٩٨٥) (١٠) معاجم للتعليم العالي ، والسادس (الرباط ١٩٨٨) (٥) معاجم ، والسابع (الخرطوم ١٩٩٤) (٤) معاجم ، فيكون المجموع (٤٣) معجماً ، وثمة (٥) معاجم في الإعداد .

ونظراً للتجانس في المعجمات المخصصة للتعليم العام والمخصصة للتعليم العالي ودرءاً للتكرار جمعت المعجمات المصدقة حتى المؤتمر السادس وعددها (٣٤) معجماً في (١١) معجماً تضم

(١١٢٥٦٠) مصطلحاً هيئت للطبع ، وصدر منها حتى الآن ثمانية معجمات .

إن جهوداً كبيرة بذلت وماتزالُ تبذلُ لوضع المصطلحات العلمية وتوحيدها ، ولكن الجهود التي تبذل متأخرة لا تعطي ثمارها كاملة ، فمازال ثمة مصطلحات في مجالات العلم موضع اختلاف ويقدرها بعضهم بنسبة ٦٪ من مجموع المصطلحات المستخدمة في التدريس والترجمة والتأليف .

وفي رأيي ، وتداركاً لهذا الخلل في المواكبة والتزامن بين المصطلح الأجنبي ومقابله العربي ، ودرءاً لتعدد المقابلات العربية للمصطلح الواحد ، أن يُطَوِّر مكتب تنسيق التعريب عمله بوصفه جهاز التنسيق القومي ، فيتتبع ما يستجد من مصطلحات في العالم في مختلف فروع العلم عن طريق مراجعة المعجمات التي تصدر باللغات الأجنبية ، ولاسيما تلك التي تكون اللغة الإنكليزية أساساً لها ، والكتب والدوريات ، ويجمعه في قوائم يعرضها على المجامع اللغوية والعلمية والجامعات والمراكز العلمية ؛ مشفوعة باقتراحات خبرائه ، كما تقول رأيها فيها ، ثم ينسق المكتب بين هذه الآراء ويقدمها إلى مؤتمرات التعريب لإقرارها.

ومن الحق أن نذكرَ أن ما تَمَّ من إنجاز في هذا المضمار ، مضمار المصطلح العلمي ، إنما هو جهد مشترك جماعي أسهم فيه أفرادٌ نابهون ومؤسسات لغوية وعلمية ، وفي مقدمتها المجامع مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩١٩ ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٣٢ ، والمجمع العلمي العراقي ١٩٤٧ ، ومجمع اللغة العربية الأردني ١٩٧٦ ، كما أسهمت فيه الجامعات في الوطن العربي وأساتذتُها ولاسيما من قام منهم بالترجمة إلى العربية وبالتأليف والتدريس بها .

إنني أعتقد أنه قد حان الوقت لتعديل الأسلوب المتبع في وضع المصطلح وتنسيقه وتوحيده ، ورسم خطةٍ جديدة للعمل المصطلحي ، يكون من أسسها :

١. تولي اتحاد مجامع اللغة العربية قيادة العملية برمتها ، بحكم اختصاصه ويغدو مكتب تنسيق التعريب جهازاً منفذا للمشروعات التي يرسمها الاتحاد .

٢. دعوة المنظمات والاتحادات النوعية العربية (اتحاد المهندسين ، اتحاد الكيميائيين) إلى المشاركة في هذا الجهد بالخبرات والمال ، على مثال ما قام به اتحاد الأطباء عند وضعه معجمه (المعجم الطبي الموحد) .

٣. بذل الجهود العاجلة والجادة لمكننة العمل في هذا المكتب للاستفادة من الآلية المتطورة وقدراتها الهائلة على الخزن والاسترجاع والمعالجة .

٤. إنشاءُ بنكٍ للمصطلحات العلمية وإحداث مركز إعلام مصطلحي في نطاق مكتب تنسيق التعريب بالرباط أو المركز العربي للتعريب ؛ والترجمة والتأليف والنشر بدمشق والعنايةُ بتدريس علم المصطلح ، وتوحيد منهجيات وضع المصطلح وفق قواعد واضحة متفق عليها .

٥. الربط المحكم والمستمر بين وضع المصطلحات وتوحيده من جهة وبين استخدامه في الترجمة والتأليف والتدريس والبحث العلمي ، واعتبار العملية برمتها جزءاً من حركة التقدم العلمي والتقاني والنهضة الحضارية في الوطن العربي .

الخاتمة :

إنه لما يزيد موضوع المصطلح العلمي أهمية أن دعاة التغريب، بدافع وهن في الهزيمة أو انبهار بما لدى الغير أو مصالح آنية شخصية يتخذون من الحال الراهنة من حيث الافتقار إلى النجاعة في وضع المصطلح وتوحيده واستخدامه ذريعة للطعن بالتعريب و إعاقة تنفيذه ، فيزعمون أنه ليس ثمة مصطلحات علمية كافية تفي بالغرض ، ومعنى هذا أن اللغة العربية قاصرة عن مسايرة تطور العلم ، وأنه لا داع للترجمات التي ، في ادعائهم ، لا تغني عن طلب العلم بلغة أجنبية ؛ وأنّ التعريب يضر بالمستوى العلمي المطلوب ويعزل المتعلم عن حركة التقدم العلمي في العالم .

إنها ذرائع واهية متهافتة تخالف المعطيات العلمية وتتنكر لمقومات وجودنا القومي والإنساني .

فقد دلت الدراسات الجادة على أن الاستيعاب وتمثُّل المعلومات باللغة الأم يفوق الاستيعاب والتمثل بلغة أخرى ، وأن العمل العلمي تعلماً وتعليماً وترجمة وتأليفاً وبحثاً باللغة القومية هو الطريق إلى الابتكار والإبداع .

وتشكِّلُ لغتنا القومية بمفرداتها ، والقادرة على التعبير الدقيق والتوالد الخلاق والنماء المستمر ، إحدى ركائز هويتنا القومية ، واستخدام لغة أخرى مكانها هو اتهامٌ لها بالعجز وتنكرٌ مريرٌ لما تحمل من قيمٍ رفيعة وتراثٍ جليل وطاقاتٍ لا حدَّ لها ، وإضعافٌ لها ، وهي الآصرة الأقوى بين أبناء أمتنا العربية ، ولغة القرآن الكريم في الإسلام وما بعده من قرون إلى آخر الزمان بكل ما يحمل من فصاحة كلم وبلاغة بيان .

وليس بخافٍ البتة أن استخدام العربية لغة علمٍ لا يتعارض مع إتقان الباحث والمدرس والطالب لغةً أجنبية ؛ تكون نافذةً له على معطيات العلم الحديث إلى جانب ما يترجم منها إلى العربية ؛ وأن جميع الأمم والشعوب الناهضة قد جعلت من لغاتها الوطنية لغة علم وتعليم .

إن الجهود التي تبذل مستمرةٌ في كل قطرٍ عربي ، والرواد المخلصون ما ينفكون يواصلون المطالبة والسعي ، وثمة خطواتٌ مهمةٌ قطعتها بعضُ الاقطار العربية التي شرعت بتعريب التعليم العلمي في جامعاتها وينطوي ذلك على الاهتمام بالمصطلح والترجمة - ، وهي السودان والعراق واليمن والجماهيرية الليبية ، وقد أصدرت الجزائر تشريعاً يوجبُ إنجاز تعريب التعليم العلمي في جامعاتها عام ٢٠٠٢ ، وليس من العسير سدُّ مواضع الخلل في الأقطار العربية الأخرى إذا اقترن بالفعل ، وارتبط التخطيطُ بالتنفيذ .

وعلى الصعيد القومي أنجزت المنظمةُ العربية للتربية والثقافة والعلوم في العام الماضي ١٩٩٦ وضعَ خطة قوميةٍ للتعريب وخطةٍ قومية محدَّثةٍ للترجمة ، وتشرف على جهازين عاملين هما مكتبُ تنسيق التعريب بالرباط - بشأن المصطلح والمعجمات المخصصة ؛ والمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق - بشأن الترجمة والتأليف - ؛ إلى جانب النصوص التشريعية في جامعة الدول العربية ، وقرارات المؤتمرات الوزارية المختصة ، خلال نصف القرن الأخير .

إن الخطوات بطيئة ، ولكنَ العزيمة والجهود ماتزال تُبْذَلُ والأملُ في غدٍ مشرقٍ يَعْمُرُ القلوبَ ، وهذه الشعلة لغتُنا العربيةُ التي لم تطفئها رياحُ الاستبداد والقهر ستظلّ متألقةً أبدَ الدهر .

المواد

المقدمة	١
معنى المصطلح	١
معنى الترجمة	٣
معنى التعريب	٤
أولاً – طرائق وضع المصطلح العلمي	٨
ثانياً – حجم العمل المصطلحي	١١
ثالثاً – إشكاليات المصطلح العلمي	١٣
الخاتمة	١٩

المراجع

* الخبير السابق في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

** وتلفظ التُرجُمان والتَرجَمان .

١. كتاب " المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث " للأمير مصطفى الشهابي . مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، طبعة ثانية منقحة ومزيدة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م .

٢. كتاب " اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة " تأليف الدكتور كارم السيد غنيم عضو كلية العلوم بجامعة الأزهر – مطبوعات مكتبة ابن سينا بالقاهرة ١٩٨٩م .

٣. كتاب " الأسس اللغوية لعلم المصطلح " تأليف الدكتور محمود فهمي حجازي . مطبوعات مكتبة غريب بالقاهرة ١٩٩٣م .

٤. كتاب " التعريب والتنمية اللغوية " تأليف الدكتور ممدوح خسارة مطبوعات دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق ، ١٩٩٤م .

٥. محاضرة " التعريب والمصطلح العربي الموحد " للدكتور محي الدين صابر المدير العام السابق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ألقيت في ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات علماً وتطبيقاً بتونس من ٧ – ١٠ تموز ١٩٨٦ .

٦. محاضرة " قضية المصطلح العلمي في نطاق تعريب التعليم العالي " للدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق ، ألقيت في ندوة تعليم اللغة العربية في الجامعات العربية التي عقدت في رحاب جامعة الجزائر من ٧ – ٩ نيسان ١٩٨٤ .

٧. كتاب " دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب " تأليف شحادة الخوري ، إصدار دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ط٢ / ١٩٩٦م .

٨. كتاب " الترجمة قديماً وحديثاً " تأليف شحادة الخوري . إصدار دار المعارف بسوسة / تونس ١٩٨٨.

٩. محاضرة "التعريب والمصطلح " للأستاذ شحادة الخوري ألقيت في ندوة " التعريب وصلته بشخصيتنا الوطنية والقومية " التي أقامتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية – في جامعة تشرين باللاذقية من ٩ – ١١ نيسان ١٩٩٦ .

* * *